آراء وقضايا

تداعيات السيطرة على الهلال النفطي في ليبيا (3-3)

شكل استيلاء قوات خليفة حفتر في 2016م على أربعة موانئ نفطية في منطقة الهلال النفطي الليبي، تحولاً استراتيجياً في الصراع السياسي على السلطة. ثم عادت معارك واشتباكات لتندلع في محيط المنطقة بين 2016 و2018. وفي يونيو 2018، نجح الجيش الليبي في السيطرة على منطقة الهلال النفطي والموانئ التابعة لها، حيث دارت معارك في الشهر الماضي بين قوات القائد السابق في حرس المنشآت النفطية، إبراهيم الجضران، وقوات خليفة حفتر، وبدت امتداداً لصراع بدأ قبل سنوات.

توفيق المديني
كاتب وباحث تونسي

وعلى الرغم من أن الدول الكبرى التي شاركت في التدخل العسكري الأطلسي منذ خمس سنوات لإسقاط نظام العقيد القذافي، لم تتوقف عن إعلان دعمها لحكومة الوفاق الوطني، برئاسة فايز السراج والمجلس الرئاسي، فإن بعضها لا يزال على صلة وثيقة بحفتر الذي استضافت قاعدته في بنغازي خبراء وضباطا بريطانيين وأميركيين، بل شاركت قوات فرنسية في القتال في صفوفه. ويقود حفتر، الحليف السابق للقذافي، حرباً في شرق ليبيا، منذ مايو 2014، تمكن خلالها من السيطرة على قطاعات من بنغازي ومناطق أخرى، لكنه لم يتوصل إلى نتائج كبيرة مقارنة بطول فترة الحرب التي لم تتوقف بعد.

وفي المقابل، توجد القوات الموالية للمجلس الرئاسي الذي يترأسه فايز السراج في مدن غرب ليبيا، لكن حفتر ومَوالِيه السياسيين في البرلمان لا يعترفون بحكومة الوفاق الوطني في طرابلس، ويعدون القوات الموالية لها «مليشيات إرهابية» إذ تم منع أي تصويت برلماني في الشرق لمنح الثقة لحكومة الوفاق مع تحدي اتفاق الصخيرات الذي تم بوساطة الأمم المتحدة لتوحيد ليبيا.

على الصعيد الإقليمي، يحظى حفتر بدعم قوي من مصر والإمارات المناهضتين لتنظيم الإخوان المسلمين، حيث يرى الرئيس المصري، عبدالفتاح السيسي، في مقاربته للأزمة الليبية، أن لديه ثلاثة ثوابت في المشهد الليبي: ضمان مكانة معتبرة لحفتر، وتقليص نفوذ «الإخوان المسلمين» في حكومة الوفاق ولجنة المصالحة الوطنية، والاعتماد على جيش حفتر فقط في تأمين الحدود الليبية، والاعتماد به جيشاً وطنياً للبلاد.

وفي المقابل، كانت قوات إبراهيم الجضران تسيطر على أهم موانئ البلاد النفطية منذ سنة 2013، بدعم من قبيلته الكبيرة «المغاربة»، وقد أدى ذلك إلى تعطيل تصدير النفط، بعدما طالب بزيادة حصة إقليم برقة في شرق ليبيا، الأمر الذي قاد إلى تراجع كبير في إنتاج النفط، وأستولد قتالا مع مجموعات عسكرية من المنطقة الغربية، نتج عنها دمار كبير، أصاب المنشآت النفطية وأثر على عمليات الإنتاج، لكن اللواء خليفة حفتر، القائد العسكري السابق العائد إلى الميدان بدعم قوي من خارج الحدود، للإمساك بالبلاد بقبضة عسكرية منذ سنة 2014، نجح في إبرام صفقة مع قبيلة المغاربة، أدت إلى إقصاءِ الجضران واختفائه شخصياً من المشهد من دون قتال يذكر، في حين انسحبت قواته نحو جنوب البلاد وغربها، وحافظت على وتيرةٍ معينةٍ من العمليات العسكرية، كان أبرزها نهاية 2016، حين سيطرت على ميناءي السدرة ورأس لانوف النفطيين، قبل أن تتمكن قوات حفتر من طردها والإمساك مجدداً بالمنطقة الحساسة، وتأمين استمرار إنتاج النفط.

ويعتقد المراقبون المتابعون لشأن الليبي أن اللواء حفتر لم يستطع أن ينهي ظاهرة الجضران ومجموعته، حين سيطر على موانئ الهلال النفطي في نهاية سنة 2016، بدلالة أن الجضران، القائد السابق لما يسمى حرس المنشآت النفطية في المنطقة الوسطى، قد عاد إلى واجهة الأحداث، بعد تحالف جماعته مع جماعة «إخوان» ليبيا، وبدعم من مسلحي ما تسمى «سرايا الدفاع عن بنغازي»، التابعة لتنظيم القاعدة، فضلا عن مسلحين آخرين من الجبهة الليبية التي تأتمر بأوامر عبد الحكيم بلحاج، ومرتزقة أفارقة، في أول أيام عيد الفطر الماضي، بشن هجوم عسكري على منطقة الهلال النفطي، أغنى مناطق ليبيا بالنفط، وبسط خلالها السيطرة على الموانئ النفطية، ما أدى إلى وقف حوالي أكثر من نصف إنتاج النفط في ليبيا.

ومن الجدير بالذكر أن «عزوة الهلال» التي قادها الجضران جاءت هذه المرة بنكهة سياسية وعسكرية مختلفة، إذ حظيت بـ«حياد» قبيلة المغاربة، ما عنى عملياً نهاية الصفقة التي أبرمتها معه قبل أعوام، وأدت إلى إقصاء غريمه المتمرد، واستغلال الهجوم الذي كانت قوات حفتر تقوده منذ مايو الماضي لتحرير درنة، المدينة الوحيدة في شرق ليبيا التي لا تزال خارج سيطرة الجيش الوطني. وتقع درنة على بعد ألف كلم شرق طرابلس، ونحو 300 كلم شرق بنغازي، ويسيطر عليها إسلاميون منذ سقوط القذافي في 2011. وتحاصر قوات الجيش الليبي، بقيادة حفتر، منذ نحو سنتين، هذه المدينة الساحلية البالغ عدد سكانها 150 ألف نسمة، وتقصفها بالمدفعية الثقيلة، كما تستهدفها بغارات جوية.

صورة تتحدث

جانب من نشاط باشرت هيئة الإغاثة الإنسانية التركية «IHH»، بتنفيذه، حيث قامت الهيئة بإعادة بناء مدرسة مدمرة في قرية «براعيدة» التابعة لمدينة «اعزاز»، شمالي سوريا.

الاتحاد الأوروبي المعقد جداً (2-1)

هارولد جيمس
أستاذ التاريخ والشؤون الدولية بجامعة برينستون

يواجه الاتحاد الأوروبي حالياً تحديات أشد من أزمة الديون التي هددت بإغراق منطقة اليورو في وقت سابق من هذا العقد. وقد استمرت التوترات بين الشمال والجنوب والشرق والغرب في أوروبا منذ ذلك الحين، وتتفاقم الآن بسبب تزايد عدم اليقين بشأن مستقبل حكومة المستشارة الألمانية أنجيلا ميركل. هل يمكن لهذه التوترات أن تدمر الاتحاد الأوروبي في النهاية؟ منطقياً، لا يوجد سبب يجعل الاتحاد الأوروبي الآن عرضة لخطر التدمير. لقد تم التوصل إلى اتفاق مستدام بشأن الديون اليونانية، ولم تسجل وكالة الأمم المتحدة لاجئين سوى 42.213 لاجئا هذا العام- أقل بكثير من المليين الذين وصلوا إلى حدود الاتحاد الأوروبي في عام 2015. ومع ذلك، في هذا العام، زادت حدة التوترات بشأن الهجرة، وهذا رد فعل متأخر، لا يبدو هذا الأمر مجرد استجابة متأخرة للموجة الكبيرة من الهجرة قبل ثلاث سنوات فحسب، بل يعكس أيضا عدم اليقين بعد الأزمة المالية العالمية عام 2008. إن الأوروبيين اليوم أكثر قلقاً بشأن المستقبل مما كانوا عليه قبل عقد من الزمن، فهم غير مقتنعين بأن قادتهم السياسيين يمكنهم الاستجابة بفعالية للمشاكل الحالية.

هذه التحديات تتعدى الهجرة والنقاش المستمر حول اليورو. وهي تشمل قضية الأمن التي يثيرها القتال المستمر في أوكرانيا، وتنسيق سياسة الطاقة، ومفاوضات بريكست المتوقفة، والتهديد بحرب تجارية عالمية. حتى الآن، فشل الاتحاد الأوروبي في إثبات أنه قادر على معالجة هذه القضايا، حتى التجارة (مجال السياسة الوحيد الذي يتناسب تماما مع اختصاص الاتحاد الأوروبي).

من الناحية النظرية، يمكن حل كل هذه المشاكل كصفقة كبرى. إن مزايا هذه الصفقة واضحة للغاية: في عالم مضطرب، توفر العضوية في مجتمع أكبر حماية وضمانا قيّمين. لن تفوز جميع البلدان في جميع المجالات، لكن الجميع سيكون أفضل حالا.

على سبيل المثال، في حين لا يزال يتعين على إيطاليا واليونان تسجيل طالبي اللجوء وتزويدهم بالمساعدة الطبية والاجتماعية، فإن شركاءهم الأوروبيين سيساعدونهم في الاستفادة من الحدود الأقوى التي تسيطر عليها أوروبا. ويعني ارتفاع الاستثمار في شبكات نقل الطاقة مرونة أكبر لجميع أعضاء الاتحاد الأوروبي.

ومع ذلك، لطالما كانت الصفقات الكبرى في أوروبا مجرد وهم. تكمن المشكلة الرئيسية في تعقيد الاتحاد الأوروبي. يواجه المجتمع مشكلة في المواقف الفوضوية، مثلما كان فريق كرة القدم الألماني شديد الانضباط غير قادر على الصمود أمام معارضيه المكسيكيين في بداية كأس العالم هذا العام. (هذه ليست مبارة كرة القدم الأولى التي لها أهمية رمزية بالنسبة لحالة الاتحاد الأوروبي: في صيف عام 2012، في ذروة أزمة الديون في منطقة اليورو، وقعت مبارة كأس الاتحاد الأوروبي بين إيطاليا وألمانيا في نفس الوقت الذي عقدت فيه القمة الأوروبية الحاسمة).

في الواقع، يمكن مقارنة عالم 2018 بلعبة فوضوية. يجب أخذ قمة مجموعة الدول السبع الأخيرة في كيبيك بعين الاعتبار، حيث كانت التجارة على رأس جدول الأعمال. هذا هو المجال الذي ينبغي للاتحاد الأوروبي أن يكون له تأثير كبير فيه. لكن ممثليه أضاعوا فرصة ذهبية عندما عرض الرئيس الأميركي دونالد ترامب، الذي ألف كتاب الفوضى، بديلا للحروب التجارية التي أطلقها: الإلغاء الكامل للحواجز الجمركية.

■ (يتبع)

خواطر

التعليم أولاً

حسان يونس
كاتب سوري

يُعرف عن اليابانيين الذكاء والصحة والأدب الجم، وكان لافتا للغاية تصرف مشجعي المنتخب الياباني خلال مونديال روسيا، حيث أثاروا إعجاب العالم عندما قاموا بتنظيف المدرجات التي شغلوها.

لماذا تلك الأمة فريدة ومختلفة عن باقي دول العالم؟. تتلخص الإجابة عن هذا السؤال في أن لديهم نظاما تعليميا رائعا، ويتركز اهتمامهم الأول في بناء المجتمع على تعليم أفراده بصور شبه مثالية، ولا يقتصر التعليم على المدارس فقط، بل يتعداه إلى التعليم الاجتماعي والتعليم المنزلي والتعليم في الشركات. يعتقد البعض أن نهضة اليابان بدأت بعد الحرب العالمية الثانية، لكنها تعود إلى زمن أبعد، وتحديدا إلى عام 1868، عهد الإمبراطور موتسو هيتو، وكان شابا ذكيا متفتحا وسمي عهده «ميجي» أي الحكم المستنير. وبواسطة هذا العهد تم إرساء قواعد نهضة اليابان الحديثة. وأهم فقرة في هذا العهد هي الخامسة التي تنص على التعليم: «سوف يجري العمل على جمع المعارف من شتى أنحاء العالم أجمع، وعلى هذا النحو سوف ترسخ الإمبراطورية على أسس متينة».

وبالفعل استطاعت اليابان أن تجمع المعارف من شتى أنحاء العالم، إلى أن تحولت مصدرا رئيسيا للمعرفة والابتكار.

يقول ستيف جوبز: «أنا من أشد المؤمنين أن الفرص المتساوية تؤدي إلى نتائج متساوية، وأهم الفرص التي يجب أن يُتساوى فيها الجميع هي كفاءة التعليم. يجب أن نتأكد أن كل طفل يحظى بتعليم جيد». هذا هو سر «المعجزة اليابانية»، كفاءة التعليم، وبغيره لا تقدم للإنسان والمجتمعات، والمتأمل في حال معظم الدول العربية سوف يجد الإجابة دون عناء: أنظمة تعليمية متهالكة وفساد قادا إلى الفوضى والتخلف في كل مجال آخر، وإذا لم يحظ التعليم بالاهتمام الذي يستحقه فإن الصورة ستكون أكثر سوادا بكثير، مما هي عليه الآن.

hassan@al-watan.com

رؤية

المكسيك تنتخب ترامب الخاص بها (3-3)

خورخي ج. كاستانيدا
وزير الخارجية المكسيكي الأسبق

تعهد «أملو»، الذي سيتولى منصبه في أول ديسمبر، بتأييد المعاهدة ومواصلة المحادثات لمراجعتها. حتى في أفضل الحالات، فإن تغيير الحرس سيؤخر أي اتفاق أو موافقة نهائية من قبل الدول الثلاث. وفي هذه الأثناء، فإن تهديدات ترامب المستمرة بالانسحاب من نافتا أو فرض تعريفات جمركية جديدة – على سبيل المثال، على صادرات السيارات المكسيكية – سيزعج حتمًا القادة الجدد للمكسيك.

قد تكون الهجرة موضوعًا أكثر حساسية. إن إصرار ترامب على بناء جدار على طول الحدود، والعدد المتزايد من المكسيكيين الذين يتم ترحيلهم من الولايات المتحدة، والمهاجرين من أميركا الوسطى الذين يعبرون المكسيك، والاحتجاز المنفصل لأطفال المهاجرين، والضغط الدبلوماسي والخطابي من جانب ترامب على كل هذه الجبهات، لن يجعل الأمور أسهل. إن خضوع بينيا نييتو للولايات المتحدة في معظم هذه الأمور، منذ أن زار ترامب المرشح آنذاك مدينة مكسيكو في ذروة حملته الرئاسية، سيقود أندريس لتمييز نفسه قدر المستطاع من خلال الدفاع عن ترامب كلما أمكنه ذلك، حتى بشكل رمزي.

وقد أعلن بينيا نييتو أنه سيستخدم الهجرة والأمن كورقة مساومة في السعي إلى إتباع نهج شامل لجميع القضايا المدرجة في جدول الأعمال الثنائي. لكنه لم يفعل ذلك. وبمجرد أن يذهب أندريس إلى أبعد من وجهات نظره البسيطة ويفهم مدى تعقيد القضايا المطروحة، فإنه سوف يميل إلى فعل ما لم يجرؤ بينيا نييتو على فعله. يمكن للمكسيك استخدام عدد من القضايا المتعلقة بالهجرة، مثل تخفيف القيود على حدودها الجنوبية مع غواتيمالا أو رفض السماح بدخول المهاجرين من الولايات المتحدة ما لم تكن السلطات الأميركية قادرة على تأكيد جنسيتهم المكسيكية. ومع اقتراب موعد انتخابات التجديد النصفي في نوفمبر، وحملة الانتخابات الرئاسية 2020، سيجد ترامب صعوبة في الكف عن تأجيج عداء مؤيديه.

توجد مكافحة المخدرات في مفترق طرق مماثل. لا تظهر أزمة الأفيون في الولايات المتحدة أي علامة التحسن، نظرا إلى أن جزءا كبيرا من الهيروين والفنتانيل المستهلك في أميركا يأتي بشكل مباشر أو غير مباشر من المكسيك. وعلى عكس ذلك، يقوم عدد متزايد من الولايات الأميركية بتشريع الماريجوانا الطبية أو الترفيهية. وكذلك كندا. في حين أن أملو متحفظ للغاية على هذه الأمور وبعارض أي نوع من التشريع القانوني، فإنه سيصعب عليه الحفاظ على مستويات التعاون السابقة بشأن إنفاذ العقاقير.

إن عداء الشعب تجاه ترامب والاستياء من الطبيعة السرية والتدخلية، وربما غير القانونية للتعاون الذي أقامه سلفاه السابقان لن يجعل الأمر سهلا.

وقد أشار «أملو» إلى أنه يؤمن بالعفو عن مزارعي نباتات الماريجوانا والخشخاش (نبات مخدر)، ولكن ليس لكبار التجار. غير أن الخط الفاصل بينهما ليس واضحًا دائمًا. فللزارعين في غيريرو، على سبيل المثال، يزرعون أمبلوا للكارتلات، وليس للمكاسب الشخصية.